

سيصدر هذا الكتاب قريباً بإذن ربنا. شاملاً لكل ما أمكن وصوله إلينا من أقوال الآباء القديسين. وإلى أن يصدر سنتقبس لك منه الآن بعض كلمات في

1 الحث على الاتضاع...!

قال الأنبا أنطونيوس: أحب الاتضاع، فهو يغطي جميع الخطايا.

وقال الأنبا برصوفيوس: اقتن الاتضاع، فإنه يكسر جميع فخاخ العدو.

وقالت الأم ثيودورا: لا نسك ولا تعب ولا صوم، يقوم مقام التواضع الكامل. لأنه قيل عن إنسان متوحد كان يخرج الشياطين فسألهم قائلاً "بماذا تخرجون؟ أبالصوم". فقالوا "نحن لا نأكل فقط". فسألهم "أبالشهر". فقالوا "نحن لا ننام". فسألهم "أبترك العالم". فقالوا "إن مساكننا البراري والخرائب". فسألهم أخيراً "فبماذا تخرجون إذن؟" فأجابوه: "لا يوجد شيء يسحقنا غير التواضع". فالاتضاع إذن هو غلبة الشيطان.

وقال الأنبا أشعيا: أحب الاتضاع فهو يحفظك من الخطية.

وقال الأنبا باخوميوس: أسلك طريق الاتضاع لأن الله لا يرد المتواضع خائباً، لكنه يسقط المتكبر وتكون سقطته شنيعة... احذر من تكبر القلب لأنه أشنع الرذائل كلها. وقال أيضاً: "كن متواضعاً لتكون فرحاً، لأن الفرح يتمشى مع الاتضاع. كن متضعاً ليحرسك رب ويفوك، فإنه يقول إنه ينظر إلى المتواضعين. كن وديعاً لكي يملأك رب حكمة ومعرفة وفهمًا، لأنه مكتوب إنه يهدي الوداع بالحكم ويعلم المتواضعين طرقه".

وقال الأنبا يوحنا القصير: "يجب قبل كل شيء أن نقوم بالتواضع. لأن هذه هي الوصية الأولى التي قال ربنا عنها: طوبى للمساكين بالروح فإن لهم ملوك السموات".

وقال الشيخ الروحاني: "تسربل يا أخي بالتواضع في كل وقت، لأنه يلبس نفسك المسيح معطيه". (بستان الرهبان)

وقال مار اسحق: "حب الاتضاع في كل تدابيرك لتخلص من الفخاخ التي لا تدرك، الموجودة في كل حين خارج السبيل التي يسلك فيها المتضعون" (ك 2 م2).

وقال أيضاً: "لا تلتمس أن تكرم وأنت مملوء من داخل جراحات. أبغض الكرامة فتكرم، ولا تجدها لئلا تعان. من عدا وراء الكرامة هربت منه، ومن هرب منها قصدهه وأنذرت كافة الناس باتضاعه" (ك 3 م2).

وقال أيضاً: "تواضع في علوك، ولا تعظام في حقارتك" ... "ضع ذاتك وصغر قدرك عند جميع الناس، فتعلو على الرؤساء في هذا العالم".

وقال أيضاً - محذراً من اتخاذ الاتضاع وسيلة للكبراء: "إن حقرت نفسك لكي تكرم، الله يفضحك. وإن أنت امتهنت ذاتك لأجل الحق فإن الله تعالى يتقدم إلى برياه فيمدحونك ويفتحون قدامك بباب مجده الذي يتكلم به منذ الأزل، ويمجدونك كالباري تعالى لأنك بالحقيقة تكون على صورته ومثاله" (ك 3 م2).

وقال أيضاً: "كن أميناً في حكمتك، ولا تتطاير بالحكمة وأنت أمري" (ك 3 م2).

وقال كذلك: أيها الإنسان الشقي، إن أردت أن تجد الحياة تمسك بالإيمان والتواضع، لكي تجد بهما رحمة ومعونة وصوغاً من الله في قلبك... وإن أردت أن تقتنى هذين.. تمسك من مبدأ أمرك بالبساطة، واسلك قدام الله بسذاجة وليس بمعرفة (ك 2 م18).

وقال القديس أغسطينوس: "أتريد أن تكون عظيماً؟ ابدأ من أسفل. تفك أن تشييد بناءً عظيماً في علوه؟ فكر أولاً في وضع أساس الاتضاع. إن البناء الذي سيسعى من فوق، كلما كان ضخماً، فعلى قدر ضخامته يكون عمق الأساس الذي يحفر. البناء في تشييده يرتفع إلى أعلى، ولكن الذي يحفر أساسه يجب أولاً أن يهبط إلى تحت إلى أسفل جدًا. وهكذا ترى أن البناء يكون تحت قبل أن يكون في العلو. والقمة لا ترتفع إلا بعد الاتضاع".

فما هي القمة في ارتفاع هذا البناء الذي نشيده؟ إلى أين تصل أعلى نقطة في هذا البناء؟ أقول في الحال إلى رؤية الله. أترى كل هو عال وكم هو عظيم أن ترى الله!... ولكن إذ أن القمة العالية، فكر في الأساس، وأي أساس؟ "تعلموا مني فإنني وديع ومتواضع القلب" فأحفر أساس الاتضاع إدًّا عميقاً في ذاتك، وهكذا تصل إلى تاج قمة المحبة" (العظة 19)

وقال الشيخ الروحاني: "يقول النبي الويل للحكيم في عيني نفسه... فكن مثل عبد عند مواليه، وليس مثل أخ عند إخوته... كن الأول في الأعمال التي يرتفع عن عملها غيرك، وكن آخر من يرتب الأمور ويدبرها... أليس التواضع في كل حين، وهو يجعلك مسكوناً له" (م 31)

وقال أيضاً: "كما ينبغي للشاب الصوم والنسك، هكذا ينبغي للشيخ الاتضاع والتنازل، لأجل أنه دائمًا يلتصق بهم الظن والمجد الباطل، وإلى جهاد النفس يحتاجون أكثر من جهاد الجسد". وقال أيضًا: "الكنز المخفي في الأرض ما ينقص، ولا يخاف عليه من السارقين. وكنز المعرفة داخل القلب ما تسلبه أفكار المجد الباطل".

وقال مار أفرام: "كما أن الجسد يحتاج إلى ثوب سواء كان الجو دافئاً أو بارداً، كذلك النفس تحتاج على الدوام إلى رداء الاتضاع. قنية نفيسة هي تواضع العقل... اختر أن تمشي عارياً حافياً أكثر من أن تتعرى منه. فإن الذين يحبون التواضع يسترهم رب".

وقال أيضًا: "إذا شاهدت نفسك مكللاً بالفضائل وعالياً فيها. فحينئذ تحتاج بالأكثر إلى تواضع العقل، لكي تضع أساساً سليماً لعملك، ويشتت البناء مصانًا غير متزعزع". لا تعظم شأن نفسك، لأنه ربما توافقك محنـة فتوبخ الطالبين فيك حسناً. أحبب الاتضاع فإنه سور لا ينقب قدام وجه العدو، وصخرة مصادمة تكسر حيل الشيطان" (م 47، م 19)

وقال أغسطينوس: لما أحببت المرأة الكعنانية "نعم يا رب، ولكن الكلاب تأكل من الفتات الساقط من مائدة أسيادها"، سمعت "يا امرأة عظيم هو إيمانك". وأيضاً عندما قال قائد المائة "لست مستحىً أن تدخل تحت سقفي"، قال رب "الحق لم أجد ولا في إسرائيل إيماناً عظيماً مثل هذا". فلنتعلم إذن الاتضاع ولنتمسك به بشدة. إن لم يكن لنا حتى الآن، فلنتعلم. وإن كان لنا، فلا نفقده. إن لم يكن لنا فلنحصل عليه لكي ما نطعم. وإن كان لنا فلنتمسك به حتى لا نقطع. (العظة 27)

سئل القديس يوحنا الأسيويطي "من هو الكامل في المعرفة؟ فأجاب "هو الذي يحسب أن كل الناس أفضل منه".

قال أبا موسى: "تواضع القلب يتقدم الفضائل كلها... والكربلاء أساس الشرور كلها".

وقال القديس مقاريوس الكبير: الصوم بدون صلاة واتضاع تشبه نسراً مكسور الجناحين.

وقال مار اسحق: "إن سلكت في عمق الفضيلة حسناً، ولم تحس مذaque معونتها، فلا تعجب من ذلك. لأنه إن لم يتضع الإنسان لن يأخذ مكافأة عمله. المكافأة ليست للعمل تعطى، بل بالاتضاع. والذي فقد الاتضاع فقد ضيع تعب عمله". وقال أيضًا "إن عبرت على جميع منازل الفضيلة فإنك لن تصادف راحة من تعبك ولا انتقاماً من حيل أعدائك إلى أن تصل إلى منزل الاتضاع". (ك 2 م 15، 5)